رمز المرأة في الأسطورة الأمازيغية الجزائرية
- أسطورة أنزار أنموذجا-

سالم بن لباد●

الملخص:

يعد الموروث الشعبي المرآة التي تعكس آمال وآلام الشعب، حيث ظل يتناقل مشافهة عن طريق الرواية، والتي تعد بدورها ميزة تميزه عن باقي أشكال النتاج الإنساني الآخر، ومن خلال الموروث الشعبي يمكن إبراز تلك الاختلافات الفكرية والاعتقادية للإنسان في بيئته، كما يمكننا رصد أهم ردود الأفعال في مواجهة الدائمة للطبيعة ومحاولاته الوجدانية في تفسير الظواهر.

أما الأسطورة، تلك المادة التراثية التي صنعها الفكر الإنساني في العصور الأولى، التي عبر بها في تلك الظروف القاسية الخاصة عن فكره ومشاعره اتجاه الوجود. فجاءت عبارة عن خليط بين الواقع والخيال، امتزجت فيه معطيات الحواس مع الفكر واللاشعور، واتحد فيها الزمان الماضي مع الحاضر، وتشكلت في التفاعل والصراع مع الظواهر الطبيعة، وتلك القوى الخفية التي تمثلها قوى ما وراء الطبيعة.إنها النتاج المعرفي الجمعي الذي يحضر فيه الماضي في وعاء الحاضر.

إن الأساطير أصل من أصول التراث القديم، جاء استخدامها قديما، قدم الإنسان البدائي الذي كان يجسد فكره بالرمز ويعبر بالأسطورة عن افتراضاته للظواهر الطبيعية، بلغة خاصة هي لغة البدء. ولأن الأدب والفن هو التعبير عن رغبة لم تجد لها تلبية في عالم الواقع، انصرفت إلى عالم الأسطورة والرمز والافتراض.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الموضوع، الذي اخترنا فيه صورة من صور التراث الشعبي الجزائري، مجسدة في أحد أشكاله الإبداعية، هي أسطورة أنزار إله المطر في منطقة القبائل، والتي تعبر عن حقيقة الفكر القبائلي الصادق في تفاعله مع الظواهر الطبيعية، ومحاولاته إيجاد تفسير لها.

و جاء اختيارنا لأسطورة أنزار لما تحمله من رموز ودلالات عن المرأة القبائلية بصورة خاصة والمرأة الجزائرية عموما. وانطلقنا في البحث من إشكالية مفادها: كيف تجسدت صورة المرأة في المخيال الشعبي القبائلي؟ و ماهي أهم التمثلات الفكرية للمرأة من خلال أسطورة أنزار

الكلمات المفتاحية: الأسطورة، المرأة، التراث القبائلي، الرمز

● سالم بن لباد، أستاذ مساعد أ، جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة.

Abstact :

the popular heritage consider as a mirror that reflects the hopes and the pain of the people, which had been circulating orally through the novel, which is in turn distinguish it from other forms of human product and through popular heritage we can highlighted the intellectual andbelief differences of man in his environment, and we can also know the most important reactions Standing in the face of nature and his attempts to interpret affective phenomena.

The myth, the popular material, which were made of human thought in the early ages, expressed in those hard conditions the idea of his feelings towards existence. It came a mixture between reality and fiction, in which it the thought and the subconscious mixed , and united in the past with the present, and formed in the interaction and the conflict with the phenomena of nature, and those hidden forces that represent the metaphysic .it is cognitive collective knowledgement who attends the past to the present.

The origin of the myths was from the ancient heritage, which was used in ancient times, the primitive man who expressed

the subject of this article , was chose form the Algerian popular heritage, which is the legend of Enzar (rain of god)in the area of kabylie , which reflects the truth thought in its reactions and his attempts to find her interpretation.

We choose the legend of Enzar because of its inherent symbols and semantics of kabylie women in particular and the Algerian women in general..and we can ask the following question : How epitomized the image of women in the popular imagination tribal? What are the most important intellectual and representations of women through myth Enzar.

Key words: legend women, tribal heritage, icon

أسطورة أنزار:

يتحدث الدكتور محمد جلاوي عن أسطورة أنزار فيقول:«هذه الأسطورة عرفت رواجا واسعا في الأوساط الاجتماعية القبائلية وظلت تمارس ممارسة طقوسية إلى عهد قريب. إذ كلما عم الجفاف وأصيبت الأرض بالقحط والجفاف إلا وانبعثت أصولها الأولى من أعماق

الذاكرة الجماعية من جديد ليناشد بها الأهالي إله الأمطار أنزار ليعيد إليهم الغيث المفقود.»[1]

ومن بين العادات والممارسات التي ألف سكان القبائل القيام بها إرضاء وتبركا لإله المطر، عادة رش موكب العروس بالماء وعادة رش الماء حين الخروج من البيت للمسافر، وهناك من يصلي (لأنزار) متمنيا موسما ماطرا وخصبا، وهذا كله نابع من الثّقافة القبائليّة والتي ورثّتها عن الأجيال السابقة دون الاهتمام بالرّفض الدينيّ لمثل هذه الأنواع من المعتقدات والممارسات الطقوسية.

ويروي لنا الدكتور محمد جلاوي بعض الممارسات الطقوسية ، التي كان سكان القبائل يمارسونها في زمن ليس ببعيد، وقد نجدها تمارس في وقتنا، لأن هناك من لا يزال يعتقد بها لأنها موروث شّعبيّ راسخ في الذّاكرة وهو ما نراه من خلال القيام ببعضها، كرشّ موكب العروس بالماء سواء كان ماء عادي أو ماء الورد المقطر، وإذا أردت الاستقصاء عن سّر هذه العادة لوجدتها نابعة من الفّكر القبائليّ القديم، له علاقة بأسطورة أنزار.

وملخص الممارسات الطقوسية لهذه الأسطورة، تتمثل في «أن جمعا من النساء حين يجتمعن في أحد المنازل لتنظيم مراسيم الاحتفال ابتداء من شهر(ayurar) *[2]حين يحل القحط بالبلاد- بتحديد الموعد، ثمّ اختيار الحماة **[3]التي تقدم ابنتها عروسا (لأنزار)، ويشترط فيها أن تكون من أشرف نساء القرية وأن تكون ابنتها على قدر كبير من الجمال والبهاء ونيتها صادقة لا يشوبها كدر ولا تعكير». [4]

وهذا يعود كمحاولة لإحياء القصة الأسطورية (أنزار)، التي جرت أحداثها في زمن بعيد، بمنطقة تسمى" ثامزغة"***بحيث يشترط في إحياء الأسطورة توفر شروطها التي وجدت في الأصل كجمال الفتاة «تيسليث»**** التي اشتهرت بين قومها بصفة الحياء وحبها الشديد لينابيع المياه والأنهار.

وحسب اعتقاد سكان المنطقة ورواية لالة فاطمة ايديري، عاشت (تيسليث) تتجول بين الجداول والينابيع ،تداعب بيديها الماء، وتستلذ باللحظات الجميلة من الحياة،حيث تحمل الماء في كفيها وترميه نحو السماء ليتفرق إلى قطرات متلألئة وهي تنشد وتغني بصوتها العذب.

---

1 -د.محمد جلاوي، التراث والحداثة في أشعار لونيس آيث منقلات، دار الأوراق الزرقاء العالمية، الجزائر، 2007، ص30.

* ayurar: الحرّ الشّديد.

** الحماة : أي أم الزوجة أو العروس التي تقدم لأنزار.

4-د.محمد جلاوي ،المرجع السابق،ص.31

***- ثامزغة : اسم من أسماء بلاد الغرب العربي قبل الإسلام وهي منطقة في جبال الأوراس باتنة و تطلق أيضا في المنطقة القبائلية على حفل الزّفاف.

**** تيسليث : الفتاة الجميلة التي أراد أنزار الزواج بها و تعني أيضا بالأمازيغية العروس

تكررت هذه العملية أياما عديدة، وكانت (تيسليث) تتنقل بين الوديان والينابيع، وكأنها تعبر عن عفافها وجمالها، حيث تمضي أوقات طويلة بعيدة عن أنظار القرية وشبابها.

ومرت الأيام وزادت (تيسليث)جمالا، وبينما كانت كعادتها ترتوي من أحد الينابيع، مرت سحابة رعدية كان أنزار إله المطر يقودها، فأشدّ انتباهه شيء فوق الأرض،كان يبدوا في بادئ الأمر شعلة بيضاء، وزاد انتباهه ذلك الصوت العذب المنبعث من هذه الشعلة، فأقترب أكثر فوجد فتاة فاتنة الجمال كاشفة الساقين تهمّ بالدخول إلى المنبع وتغني بصوت شاويّ أصيل.

توقف (أنزار) لحظات يتأمل في هذه الفتاة، لأنه لم يرى إنسية فائقة الجمال مثل (تيسليث) وبما أن إله (أنزار) يرى بعين الآلهة، نظر إلى عمق روحها فاستغرب لنقاء وصفاء روحها وأبصر في فكرها فوجد ذلك الحياء والتعفف.

قرر(أنزار) الاستقرار أياما فوق بلاد الأوراس منزلا على المنطقة كلّ الأشكال الغيث، تعبيرا منه عن حبه وغرامه ل (تيسليث)، فاخضرت الأرض وأنتجت الخيرات،ولاحظ قوم (تيسليث) هذا التغيير الذي لم يحدث من قبل وخاصة عندما تصعد (تيسليث) إلى الجبل وامتلأت السماء بالسحب، فأصبحت الفتاة قديسة،وأضحى أنزار يعاني عاطفيا، يتساءل: هل يصارح (تيسليث) بحبه لها ورغبته في الزّواج منها،أويحافظ على كبريائه الإلهيّ؟

وبعد تفكير طويل قرر مصارحتها وطلبها للزّواج بعد أن قدّم مهرها المتمثّل في الغيث الذي حول المنطقة إلى جنّة .

نزل (أنزار) وكأنه برق خاطف نازل من السماء على شكل عاصفة ضربت الأرض بقوة اهتزّ لها كل شيء، تحول(أنزار) إلى رجل شاب في مقتبل العمر، لكن هذا الحركة أفزع الفتاة و بقيت جامدة في مكانها خوفا و فزعا.

تقدم إليها بكل احترام و طلبها للزواج مبيّنا لها عدم إمكان البشّر من ملاقاة الآلهة إلا إذا بلغوا تلك الدّرجة من العظمة التي يبنها حسن الخلق ونقاء الرّوح، لكن(تيسليث) رفضت بشدّة وأخبرته بذلك بكل شجاعة لأنّها رأت أنّه من العار ملاقاة رجل غريب دون علم والديها، فهي بالنّسبة لها خيانة لهم و لإخوتها و أهلها.

لم يتقبل أنزار ما حصل فغضب كثيرا وقرر أن يسلط غضبه على المنطقة ويحرمها من الغيث، فعادت الشّمس الحارقة وبدأت البرك والبحيرات تتقلص وأضحت الوديان والينابيع تجف وتنقص.

طال هذا الأمر أشهرا عديدة وحل بالمنطقة الجفاف حتى قضى على كل الاخضرار وأصاب النّاس اليأس وفقدت الأوراس رونقها، فضاعت(تيسليث) في هذه الحالة وعرفت مدى تعلق أنزار بها وقررت قبول عرض أنزار، فراحت تناجيه وتتضرع إليه راجية عودته، فعاد بعد ذلك أنزار ليعيد المياه إلى مجاريها، وكان لها ما أرادت،فرقص السّكان فرحا مستبشرين بذلك،

وقدّموا الولائم وأعلنوا الأفراح والاحتفالات.

ومن هنا تكوّن الاعتقاد حول الأسطورة ورسخ في المخيال الشّعبيّ القبائليّ،وأصبح المجتمع يقوم بالممارسات الطقوسية كلما حلّ الجفاف بالمنطقة معتقدين بغضب إله المطر أنزار على المنطقة ولابد من إرضائه بمنحه (تيسليث) عروسا له[1] .

ويسرد الدكتور محمد جلاوي وقائع إحياء الأسطورة قائلا :«ولمّا يحين الموعد المحدد تجهز العروس بكامل تجهيزات الزّفاف وبعدها ينطلق الموكب الذي يتشكل من نساء وفتيات وأطفال، ليطوف الجمع بالقرية بيتا إثر بيت وأثناء الطّواف يردد الجمع بصوت واحد»[2]:

أَنـزَارْ يَا أَنـزَارَ
يَا إِلَـهِ لَطِفْ هَذَا الحَّرْ
لِتَيْنَعَ خَيْرَاتُ الجِبَالِ
وَكَذَا غَيْرِهَا فِي السَوَاحِلْ[3]

ويواصل في سرد الممارسات بقوله: «وعند كلّ باب تجمع الصدقات من زيت ولحم ودقيق وبصل... وينظم إلى الجمع عدد آخر من النساء و الأطفال ، وعند آخر نقطة – وعادة ما يكون معبدا أو مسجدا- ...حينها تبدأ عملية إعداد الوليمة بما جمع من صدقات و لمّا تنتهي الوليمة تغسل الأواني و ترتب و تصب مياه الغسيل في ساقية (targa) كتذكير الإله بعدم حرمان جريانها»[4]

وبعض الرّوايات التي استقصيناها من أحد العجائز تقول: أنّ في هذا اليوم وهو يوم الجمعة تذبح الذبائح ويطبخ الكسكس بكميات هائلة تكفي كلّ القرية – من المؤونة التي جمعت من البيوت - وبعدها يذهب السّكان للصلاة شاكرين الله ومتذرعين له بقبول هديتهم ودعواتهم.[5]

كما تجد بعض الرّوايات تؤكد سقوط الأمطار مباشرة بعد إنهاء الحفل لذلك هم يتركون الأواني دون غسلها حتى تغسل بمياه الأمطار.

أمّا الحلقة الحاسمة في هذه الممارسات الطقوسية وهي الأهمّ :«التي تقدم فيها العروس لزوجها اله الأمطار (أنزار) في الصورة التي يرتضيها، حيث تأتي الحماة بابنتها وسط الحلقة من المتجمهرين، وتجردها من ثيابها بحيث تبدوا عارية تماما، وتدعوها لتطوف بالمعبد

1لالة فاطمة إيديري، رواية شفوية عن عجوز ساكنة بقرية فلدن ببلدية أقبو، ولاية بجاية.
2-د . محمد جلاوي، المرجع السابق ، ص31.
3-المرجع نفسه، ص.31.
4- محمد جلاوي، المرجع السابق، ص.نفسها.
5- لالة فاطمة إيديري، المرجع السابق.

أو المسجد سبع مرات وهي تحمل في يدها مغرفا (iflew .ayenja)* طالبة به قطرات غيث من الإله أنزار قائلة »[1]:

يَا آلِهَةَ الأَمْطَارِ، مَنُّوا عَلَيْنَا بِالمِيَاهْ
وَمِنَّا لَكُمْ الأَرْوَاحَ فِدَاءٌ وَقُرْبَانًا[2]

ثمّ تواصل بعد انتهائها من الطواف في توسلها لزوجها المفروض إله المطر،مستعملة بعض الكلمات الشّاعرية، مذكرة إياه بما حلّ بأهلها وقريتها جراء الجفاف فتقول:

قَحْطٌ حَلَّ بِالـبِـرَكِ
أَصْبَحَتْ قَبْـرًا لِلسَّتمَـكْ
وَالرَّاعِي غَارِقٌ فِي الهَمِ والشُّرُورِ
حِينَ غَدَتْ المَرَاعِي ،جَدْبٌ وَبُورٌ
الـجَمَاعَةُ أُفْلِسَتْ وَجَاعَتْ
وَإِلَيَّ كَالرَقْطَاءُ اِشْرَأَبَتْ[3]

ويشارك النساء الحاضرات في هذه الحفلة حيث يقمن بإظهار جمال العروس،ومدح الإله إلاه الأمطار(أنزار) مرددين العبارة التالية:

أَنْزَارْ أَيُّـهَا الإِلَـهُ
سِـرُّكَ غَائِـرٌ أَوْحَدٌ
فُزْتَ بِـفَتَـاةٍ كَاليَاقُوتِ
شَـعْرُهَا حَـرِيـرِي مُمَدْ
خُـذْهَا وَأَلْـهِمْهَا أَجْنِحَـةً
وَفِي غُورِ السَّمَـاءِ بِهَا اِصْعَدْ
مِـنْ أَجْلِ حُسْنِـهَا الفَتَانِ
أَرْوَيْتَ كُلَّ ظَامِئٍ عَطْشَـانْ[4]

وفي الأخير وختام لهذه الممارسات، «تتجمع كل الفتيات اللواتي بلغن سنّ الزّواج، في ساحة قرب المعبد ليشاركن خطيبة (أنزار)- التي لا تزال عارية - لعبة يطلق عليها زرزاري (zerzari) وذلك على مرأى الحشد الغفير من النساء والأطفال، تدوم اللعبة وقتا محددا لتنتهي

*- المغرف:هي أحد الأواني ، وظيفتها حمل الخضر من القدر ووضعها فوق الكسكس.
1- محمد جلاوي، المرجع السابق ، ص31.
2- المرجع نفسه، ص31.
3- المرجع نفسه ، ص32.
4- المرجع نفسه ، ص32.

بدفن الكرة الفلينية المستعملة داخل حفرة أعدت لذلك من قبل».[1]

وحين إنهاء اللعبة، تدعوا الفتيات (أنزار) متمنّيات قبوله للفتاة كزوجة له، وأن يرضى عنهم لما قدموه له كقربان، ويدعونه بأن يبدل هذا الحال الجاف إلى حال آخر تغمره الأمطار، وفي نفس الوقت يرددون:

فُــزْنَا بِالمَطْلَبِ المَقْصُودْ
قِرَانُ العَرُوسِ بِالنِّدِّ المَنْشُــودْ
الإِلَـهِ إِلَى الأَرْضِ يَنْــزِلْ
وَالعَرُوسَةِ رَاضِيَةٌ بِهِ بَعْــلْ
أَيُّهَا الإِلَهُ أَعِدْ إِلَيْنَا الأَمْطَــارْ
رِفْقًا، الأَرْضُ كَسَـاهَا الإِصْفِرَارْ
لِكَيْ تُثْمِـرَ النِّعَـمْ وَالعِلَـفْ
كَمَا أَثْمَرْتُـمْ النَّسْـلَ وَالخَلَفْ[2]

وهكذا يكتمل الحفل فيتوجه النّسوة إلى ديارهن مقتنعين بأنّهم قدّموا واجبهم تجاه إله المطر(أنزار) ومتأكدين أنه سيغيثهم حتما، ولن يخيّبهم بعد الذّي قدموه له.

ويؤكد لنا الدكتور محمد جلاوي نقلا عن أحد الرّواة الذين شاركوا في إحدى الممارسات الطقوسية حول أسطورة (أنزار) «بأنّ الأمطار تعرف النزول أياما قلائل بعد هذه المناشدة (لأنزار)».[3] هذا ملخص الأسطورة وأهم الممارسات التي تقام فيها،والملاحظ أن هذي الممارسات تقام من طرف النسوة دون الرجال، وفي ذلك دلالات سنحاول تفسيرها في ثنايا البحث.

وقبل ذلك ارتأينا أن نبرز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري، انطلاقا من إبراز معاناتها قبل الإسلام وتحسين وضعها بعده.

1- صورة المرأة في الإسلام:

فقدت المرأة في العصر الجاهلي كل الحقوق التي تثبت مكانتها وقيمتها في المجتمع،حيث مورس عليها كل أنواع الذل والهوان ، كما تحملت أساليب الظلم والعنف التي دفعت الآباء إلى «دفن البنات من الكرامات»[4]، فكان الوأد أبشع تصرف مورس على المرأة.

وبعد ظهور الإسلام، أنصف الدين المرأة وأعطاها حقها المسلوب في الحياة،حيث ساواها في الحقوق والواجبات مع الرّجل مع مراعاة الفروق الجسديّة والنّفسيّة.

1- محمد جلاوي، المرجع السابق ، ص32.
2- المرجع نفسه ، ص33.
3- المرجع نفسه ، ص نفسها.
4- عبد العزيز جاريش: الإسلام بين الفطرة والحرّية، دار الهلال، مصر، 1952، ص32.

والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكر النّساء في القرآن الكريم أكثر من مرة، ونزلت سورة بأكملها تتحدث عن حقوق المرأة وواجبات الرجل تجاهها،هي سورة"النّساء"، والتي طالب فيها بمعاملتهن بالحسنى. قال الله تعالى:« **الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**».[1]

رغم القيمة التي أعطاها الإسلام للمرأة، إلا أن القرآن ذكرها في صفات أخرى غير صورة المساواة،فهي رمز الكيد من خلال سلوكها الذي تحكمه الغيرة الحسد. وقد ورد كيد النّساء في قوله تعالى: «**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**»[2].

ووضح القرآن الكريم كيد النساء في قصّة سيّدنا يوسف مع امرأة العزيز في قوله تعالى:«**رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إنّه ربي أحسن مثواي إنّه لا يفلح الظالمون**»[3]

وبينت الآيات الكريمة من سورة يوسف ذلك أيضا في قوله تعالى: «**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**»[4]

من خلال هذه القصّة تتجلى لنا صورة المرأة كرمز للكيد .

وقد اختلفت الرّآى حول المرأة بالنسبة للديانات الأخرى وخاصة المسيحية واليهودية التي ترى المرأة أنها رمز الخطيئة، حيث أنّهم عرفوا نموذجين للمرأة يتمثلان في حواء ممثلة الشر والنّقمة، ومريم ممثلة الخير والنّعمة. ويدخل في الخطيئة الإغواء والإغراء وغير ذلك من شرور المرأة، فالمرأة عند المسيحية هي نجسة تمثل الشرور والخطايا، والخطيئة أيضا تمثّل العصيان كذلك، فالمرأة هي من أغوت آدم، وبالتالي الخروج من النّعيم وكان سببه المرأة التي أوقعته في المعصية.

ولهذا ألصقت صورة الخطيئة بالنّساء لأنهن اكتسبن سلوك حواء الدنيء،فوبّخن على ذلك.

1- سورة البقرة، الآية229.
2- سورة يوسف، الآية28.
3- سورة يوسف، الآية23.
4- سورة يوسف، الآية 29/28/27/26.

أما في اليهودية وفيما يخص النساء، فيطبق عليهن المقولة الشهيرة لحاخامين الذي يقول فيها: «البطالة تقود إلى الفساد»[1]؛ في محاولة لترسيخ فكرة أن العمل يلهي المرأة لكي تنشغل عن الشّر ولا تعقد معه تحالفات.

وقد نجد صورة أخرى للنساء في هاذين الديانتين وهي صورة المرأة كرمز لنّجاسة، وتمثيل هذه الصورة عن المرأة يمثل عندهم في فترة حيضها، و كذلك يرتبط مدلول النجاسة عندهم بالزنا، فنجد في الكتاب القديم كثيرا من النّصوص التي تصف أو تعطي أحكاما تذل المرأة وتشوه صورتها.

وكل هذه النّصوص تتحدّث عن نفس المعنى الواحد وهو المرأة في ذاتها نجسة، ومن لامسها يصبح نجسا.

2- رمز المرأة في الثقافة الشعبية الجزائرية:

المرأة في المجتمع الجزائري مصدر الأمان والاستقرار العاطفي، نظرا لأهميتها البالغة في العائلة أولا وفي المحيط الاجتماعي ثانيا، هي رمز التطور والازدهار فلا يرتقى المجتمع إلا بتقدم المرأة ورقيها.

ولقد صور المخيال الشعبي المرأة على أنها خلقت لتلبي مختلف رغبات الرجل بدون استثناء، وهذه الصورة تميل في التفسير غالبا إلى تذليل المرأة وتحطيم مثاليتها،لكن الحقيقة أنه كلما زادت مسؤولياتها زادت قيمتها في المجتمع .

إن موضوع المرأة في الثقافة الشعبية. وخاصة موضوعها كزوجة من أهم ما اهتمت به المخيلة الشعبية، وذلك للقيمة الاجتماعية التي اكتسبتها من خلال تقلدها مسؤوليات داخل البيت وخارجه، والدور الذي تلعبه في بناء الأسرة. فالمرأة هي العمود الذي يتوسط العلاقة الأسرية ويحميها من السقوط، وهي الركيزة رئيسية في البيت، لا يمكن الاستغناء عنها. وللمرأة دور اقتصادي داخل البيت يتمثل في حسن تسيير شؤون بيتها،بطريقة تتميز بالحكمة والدهاء.

المرأة في أسطورة أنزار:

إن أول صورة تتجسد في فكرنا من خلال تتبع مراحل أسطورة أنزار، هي صورة تقديم الفتاة كقربان للإله، وهي فكرة قديمة قدم الوجود ويكاد الأمر أن يكون جزءا أصيلا من ثقافاتنا وعاداتنا، وأساس هذا السلوك يقترن في الغالب بالخوف من غضب إله المطر،والعجز في فهم ماهية الوجود وأصله، وتفسير الظواهر والتسليم بوجود قوة خارقة أو إله عظيم وجب التقرب منه.

وقد وجد هذا السلوك في الحضارات القديمة، التي قدمت المرأة كقربان لتحقيق غاية ما. ولا يكمن الحصول على المراد إلا إذا قدمت للإله المنح والعطايا، و تكون غالبا المرأة من بين

[1]- أحمد الشّلبي: اليهودية، مطبعة المعرفة،1974، ص306.

العطايا التي تقدم كقربان، تأكيدا على الإيمان بهذا الإله وإرضاء له.

كما ارتبطت صورة تقديم المرأة كقربان دائما بنقص المياه، وهو ما قرأناه في حضارة مصر القديمة، أين قدمت المرأة كقربان من أجل ارتفاع منسوب مياه النيل،ويفيض النهر في موعده لكي يتجنبوا الفيضان المدمر، فالقيام بالممارسة الطقوسية في أسطورة "عروس النيل"« يتمثل في رمي فتاة جميلة إلى النهر المذكور[1]». فالمصريون القدامى اعتبروا النيل إله الخير والنماء والخصب باعتبار شريان الحياة في مصر، وكان يفيض خيرا،وتزرع البلاد بكل أنواع المحاصيل.

أما الصورة الرمزية الثانية التي التصقت بالمرأة في أسطورة أنزار، بأنها رمز النقاء والصفاء، لأن الشيء الذي أثار انتباه أنزار هو جمالها الروحي قبل جمالها الجسدي، وحتى في الممارسات الطقوسية القديمة، كان أهل القرية يختارون الأشرف والأجمل من بينهم ليقدموها للإله.

وهذا السلوك عرفا أيضا في ثقافة الإغريق حين كانت تقدم المرأة كقربان لإرضاء الآلهة وتجنب غضبها، ويتمثل ذلك في إلياذة هوميروس، حين نجد ملك الإغريق أجاممنون يقف حائرا، فأسطوله راسيا في جزيرة أوليس «ولم يبق إذن على الأسطول إلا أن يقلع إلى طروادة فيدمرها تدميرا، لكن البحر هادئ ، ورياح نائمة ولا بد لهذه السفن المثقلة بالعدة و العديد من قوة هائلة تدفعها»2.

وحينها أرسل الملك اجاممنون رسولا إلى المعبد ليعرف القربان الذي تريده الآلهة لإطلاق الرياح، فجاء رد الآلهة هو «شرب من ماء الحياة القرمزي، المتدفق في عروق عبادها المخلصين»3 كما طلبت الآلهة من الملك أجاممنون ابنته فكان «لابد من تقديمها قربانا، لا بد أن يطل دمها على مذبح ديانا»4 برغم من حبه الكبير لابنته،إلا أنه كان مضطرا لتلبية طلب الآلهة،حتى تمنحه النصر في حرب طروادة.

فآلهة الإغريق اختارت كقرباننا ابنة الملك لأنها من الشرفاء، ويسري حسبهم في عروقها ماء الحياة، وهي أيضا من العباد المخلصين، فلن ترضى الآلهة إلا بالنساء طاهرات الروح.

وما قيل في الحضارات السابقة يقال في الحضارة السومرية التي تقدم النساء كقرابين للآلهة من أجل إخصاب الأرض، وكانت أشرف العائلات وأنبلها تكرس بناتها لخدمة الإله

1- قصي منصور عبد الكريم التركي:جوانب من الجذور من الحضارية لأساطير بلاد الرافدين وأثرها في الثقافة الإفريقية القديمة، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية، العدد7، ديسمبر،2013، الجزائر، ص18.

2-هوميروس ،الإلياذة، ترجمة خشبة ديريني، دار التنوير لطباعة والنشر ، ط01،مصر،2014،ص67.

3- المرجع نفسه،ص77.

4- المرجع نفسه ،ص68.

أناينيس حيث يعملن كبغايا مدة طويلة قبل أن يتزوجن، وكان الهدف من ذلك مرضاة الإلهة التي تمثل في شخصيتها قوى التناسل في الطبيعة وذلك لضمان إثمار الأرض، وتكاثر الإنسان والحيوان وقصد تحريض القوى الإخصابية في الأرض.

ومع تطور الإنسان السومري بدأت محاولات التخفيف من هذا القربان،حيث شكلت طبقة معينة من النساء مخصصات للقيام بهذا الطقس القرباني فأصبحت ضحية وفداء لبقية النساء،وكان ذلك شرف لهن، أما بقية النساء فكان لابد أن يتقدمن لعشتار بقربان بديل عن الجنس مع الغريب،فكان قربانهن قص شعرهن بدلا من منح أجسادهن.

كان يقام في عيد رأس السنة الجديدة عند عودة عشتار مع زوجها من عالم الموتى «احتفال عظيم يقوم فيه الملك بدور الإله الأكبر، بينما تقوم القديسة الكبرى بدور الإلهة عشتار ويضاجعها على سرير الإله، فتتحقق الخصوبة، ويعم الرخاء»[1].

وآخر صورة رمزية يمكن استقصاؤها من أسطورة أنزار،هي رمز القدرة على التغيير،فبسببها عاش سكان في جنة طبيعية، وبسببها أيضا شهدت المنطقة القحط والجفاف، وهي دلالة رمزية توحي على قدرة المرأة سواء بكيده أو بصفائها على التأثير في الآخرين، حتى أن بعض الحضارات جعلت من المرأة إله.

وهذا ما وجدناه في التفكير الميثولوجي السومري الذي جعل الكثير من آلهته من الجنس الأنثوي،والسبب حسب اعتقادهم انه يعتبر «الإخصاب والعطاء والميلاد من خواص الأنثى»[2]،وهذا ما يقوده إلى الاعتقاد بأن لهذه الآلهة قوة الأساسية ومحركا كونيا لأحداث العالم، وفي محاولته أيضا تفسير بعض الظواهر كعملية الولادة عند المرأة،صنع لنفسه إلهة الخصوبة عشتار التي ترمز إلى الإله الأم الأولى المنتجة للحياة.

ولم يختلف اليونانيون كثيرا عن السوماريين في الاعتقاد، فلقد انتشرت عندهم عبادة وتقديس الإلهة الأنثى « لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة، وذلك إسقاط النموذج الأنثوي، الأصلي عليها»[3]

وهذا يقودنا إلى القول أن الغاية في أسطرت المرأة، المعرفة اليقينية أن للمرأة خصوصيات تختلف عن خصوصيات الرجل، أن الرجل لا يمكنه أن يرتقي دون مساعدة المرأة.

1- المرجع السابق ، ص 122

2-سيد القمني :الأسطورة والتراث ، التراث المركز المصري لبحوث الحضارية، ط3، 1999، ص72.

3-إمام عبد الفتاح إمام:المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة كتب ثقافية دار المعرفة، 1993، ص 49

خاتمة:

في الختام نقول، أن على الرغم من الاختلاف في الأديولوجا عند كل من الحضارات السالفة الذكر، إلا أننا نجدها تتفق على قداسة المرأة، فالمرأة قطعة أساسية في الحياة الاجتماعية فإذا ضعفت ضعف المجتمع وإذا ارتقت ارتقى المجتمع.

وما أسطورة أنزار إلى صورة تعكس تلك القيمة التي كسبتها المرأة في المجتمع،وهو دليل على الرقي الذي تحتله في الفكر الجزائري عامة والفكر الأمازيغي على وجه الخصوص. كذلك الدور الفعال الذي تقوم به المرأة، بحيث يمكنها التأثير سواء بالإيجاب أو بالسلب على مستقبل العلاقات الاجتماعية.

وقد أثبت الثقافة الشعبية دور المرأة في المجتمع كركيزة أساسية، وما الأساطير إلا نماذج لتفسير قدرة المرأة في التغيير وقدرتها على التأثير في الآخرين، ودليل ما وصلنا من قصص الأولين التي تحكي عن مواقف المرأة وقوة شخصيتها.

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش

- قائمة المصادروالمراجع:

- إمام عبد الفتاح إمام:المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة كتب ثقافية دار المعرفة، 1993.

- سيد القمني :الأسطورة والتراث ، التراث المركز المصري لبحوث الحضارية، ط3، 1999.

- هوميروس ،الإلياذة، ترجمة خشبة ديريني، دار التنوير لطباعة والنشر ، ط01،مصر،2014.

- قصي منصور عبد الكريم التركي:جوانب من الجذور من الحضارية لأساطير بلاد الرافدين وأثرها في الثقافة الإفريقية القديمة، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجنماعية، العدد7، ديسمبر،2013، الجزائر.

- محمد جلاوي، التراث والحداثة في أشعار لونيس آيث منقلات، دار الأوراق الزرقاء العالمية، الجزائر، 2007.

- لالة فاطمة إيديري، رواية شفوية عن عجوز ساكنة بقرية فلدن ببلدية أقبو، ولاية بجاية.

- عبد العزيز جاريش: الإسلام بين الفطرة والحرّية، دار الهلال، مصر، 1952، ص32.

-أحمد الشّلبي: اليهودية، مطبعة المعرفة،1974، ص30